عيش الغرباء

إن الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» ، قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ» **مسند أحمد(3784)، سنن ابن ماجة(3988) حكم الألباني(صحيح).**

النزاع كما جاء في كتاب النهاية جمع نازع ونزيع. وهو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته. أي بعد وغاب. أي طوبي للمهاجرين الذين هجروا أوطانهم في الله تعالى.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا» **الإيمان لابن منده(421)**

- **يأرز**: أي ينضم

كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحدِّث أصحابه رضي الله عنهم فبيَّن لهم أن الإسلام عندما بدأ كان غريبًا لأنه جاء في بيئة جاهلية حيث لا دين، فملة إبراهيم عليه السلام تكاد تكون قد اندثِرت ولم يكن هناك إلا قلة قليلة كانت على التوحيد، وقد حاد سائر البشر عن طريق الحق والفطرة وتحولوا إلى عبادة الأصنام وسائر المعبودات الباطلة من دون الله سبحانه، ولهذا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الإسلام بدأ غريبًا ونظرًا لذلك فقد تعجب

الناس من هذا الدين الجديد والغريب بالنسبة لهم، ثم نبأهم أيضًا بأنه سيعود غريبًا كما بدأ

فكما أن الإسلام بدأ غريبًا وتعجب منه الناس وكانوا غير مُتقبلين ظهور هذا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي جاء بالشريعة من عند ملك الملوك ولا أوامره التي أمرهم بها وهي غريبة عن بيئاتهم وأحوالهم وهذا سيكون مآل الإسلام في أخر الزمان أيضًا، ثم بشرهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببشارة جميلة وهي

قوله(طوبى للغرباء): قال ابن الأثير : **طوبى**: اسم للجنة، وقيل: هي شجرة فيها، وأصلها فعلى [بضم أوله وسكون ثانيه] من الطيب، فلما ضمت الطاء انقلبت الياء واواً،

وقيل طوبى هي شجرة في الجنة يمشي الراكب المجد تحتها مائة عام لا يقطعها

وفي ذلك بشارة لمَن سيعيش الغُربة ويُمسك على دينه في زمانها، فله طوبى وقُرة عين.

تعقيبًا على الحديث يقول شيخ الإسلام (ابن تيمية):

ليس معنى أن الإسلام سيعود غريبًا هو:

أن الإنسان يتنصَّل أو يترك الدين، بمعنى أن الذي يعيش مع أُناس يرون أن أحواله وتصرفاته غريبة وكذا أوامره لهم أوامر غريبة هو أن يترك دينه من أجلهم، بالرغم أن أهل الحق قِلة قليلة (وهذا إذا ما قُورِنوا بأهل الباطل) فيجب ألا تترك هذه القلة دينها نظرًا لغرابة شكلها إذا ما تكلم اتباع هذه القلة عن الدين الحق وما جاء من عند الله وكما يُحب الله وعلى مراد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85)﴾[آل عمران]

قال سبحانه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19)﴾[آل عمران]

قال جلَّ ذكره: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132)﴾[البقرة]

وقال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102)﴾[آل عمران]

والآيات الواردة في عدم قبول الله سبحانه لأي دين غير الإسلام كثيرة في كتاب الله سبحانه،

عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: "أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ

الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ «وَذَكَرَ» الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ " وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو غَسَّانَ فِي حَدِيثِهِ: «وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ» **أخرجه مسلم(2865)**.

لقد غضب الرب سبحانه وتعالى على كل أهل الأرض إلا البعض من أهل الكتاب والذين كانوا على دين التوحيد، فلماذا مقتهم الله سبحانه؟ لأنهم تركوا المعبود الحق (الله عز وجل) وعبدوا آلهة أخرى من دون الله وحادوا عن الفطرة السليمة وجنحوا عن الصراط المستقيم.

فعلًا: الإسلام غريبًا ولكن لابد أن يعلم الماسِك على دينه في هذه الغُربة أن له أجرٌ عظيم، وكلما أحسَّ الإنسان بالغربة وشعر بها وكلما حاول مَن حوله أن ينتقدوه أو يُهاجموه بكلام يصعُب عليه تحمُله خاصةً إذا جاء من المقربين(زوج_أبناء_أهل) فالنقد في هذه الحالة يكون أصعب مما لو جاء من أشخاص غُرباء أو ليسوا من الأعزاء على قلب الإنسان، والغالبية العُظمى من المُلتزمين يُعانون من هذا الأمر، فأي شخص يلتزم أو مُجرد أن يفعل أشياء بسيطة جدًا من دين الله وهو في بداية الالتزام (أمر من أوامر الله_تطبيق سنة من سنن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فإنه يجد هجوم شديد جدًا عليه ويتهمونه بأن له أمور غريبة.

ولنضرب مثل على ذلك: شخص مُقدم على الزواج فقال لبعض أقاربه أنه لن يشتري جهاز تلفاز في بيته فما هو رد فعل هؤلاء ؟ سيتهمونه بالجنون إذ كيف يعيش من غير تلفاز لابد أنه مجنون، كيف تكون الحياة بلا تلفاز

(هذا مظهر من مظاهر الغربة) فاليوم إن لم يجلس الشخص أمام السفه والانحلال والعُري والمسلسلات والأفلام والدمار النفسي والفساد العقلي الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل الذي يأتي من وراء مشاهدة المسلسلات والأفلام، وإن لم يشاهد هذا الضلال والفسق ويستمع للكذب أصبح إنسانا غريبا، قال تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (42)﴾[المائدة]

معنى الآية كما جاء على لسان أهل التفسير: أن كثرة سماع الإنسان للباطل فسوف يتلبس الباطل وإذا ما جاء الحق فلن يقبله وهذا هو الحاصل عند أكثر المسلمين(كثرة سماعهم للكذب والباطل جعلهم لا يقبلون الحق إذا سمعوه) لديهم حالة من عدم الاستيعاب للحق عند سماعه ولهذا فإنهم ليس لديهم القُدرة على التنفيذ لماذا؟ لقد كثُر سماعهم للباطل

ومن علامات الساعة كما أخبرنا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (تسمية الأشياء بغير اسمها).

والجالس أمام هذا الجهاز(الساعي في الأرض فسادًا) يرى الفاسقين والضلال وما يفعلونه من انحلال وفساد ويظهرون به على التلفاز يُسمون هؤلاء أبطال ونجوم وهذه سيدة الغناء العربي وتلك سيدة الشاشة العربية، فإذا كان هؤلاء هم الأبطال فماذا يسمى المجاهدون في سبيل الله؟ وحملة القرآن ماذا نُسميهم ؟ كل هذا يحدث بغرض التعمية على الناس وجعلهم في حالة من التوهان والتيه والتخبُط فلا يعرفون سبب لوجودهم في الدنيا ولا يعرفون ما هي الأوامر المطلوب منهم تنفيذها والانقياد والخضوع لها كما أنهم لا يعرفون ما هي مآلاتهم هذه مأساة حقيقية

إن مجرد الجلوس والنظر إلى أهل الفساد يؤدي إلى فساد القلوب وإن لم يُسْتَمَعْ لما يقوله أهل الباطل إلا أن مجرد النظر إليهم يُفسد القلب.

الغالب الأعم من الناس اليوم عندما يرون شخص يرفض دخول جهاز مثل هذا إلى بيته يتهمونه بالشذوذ والتشدد لأنه يفعل أمر غريب عليهم وخارج عن المألوف بالنسبة لهم، إذن كثرة سماع الكذب أدى إلى عدم قبول الحق.

اليوم إذا تحدثنا مع واحد من المسلمين الذين يسيرون في الشوارع عن الجنة والنار وقول الله وقول رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا استجابة ولا تصديق.

وخير دليل على ذلك هو النظر إلى أحوال المسلمين وليكن في الشوارع ما بين شخص(يجلس على المقهى ويدخن_ النساء الكاسيات العاريات_ آكل الربا_آكل أموال الناس بالباطل_ وغير ذلك الكثير والكثير من الذنوب والمعاصي التي يرتكبها الناس) والسؤال عند رؤية هؤلاء هو: هل هؤلاء الناس بأحوالهم هذه مُصدقين أنهم إذا دخلوا قبورهم الآن أنهم سيسألون في قبورهم وستكون النتيجة هي إما عذاب ونار وجحيم إلى يوم القيامة وإما نعيم؟ هؤلاء لا يُصدقون ما يُقال.

والدليل أيضًا على ذلك هو: جلوس الناس في العزاء لا للاتعاظ من الموت ولكن لسرد القصص والحكايات والكلام على الدنيا والأعمال والهمز واللمز وفلانة قالت وفلان عمل وهكذا، تلك هي أحوال الناس في العزاء

فما هو السبب الذي أدى إلى وصول المسلمين إلى هذه الحالة من عدم تصديق الحق أي أن النهاية ستكون إما إلى جنة وإما إلى نار؟

كثرة الذنوب والمعاصي والإعراض وسماع الباطل والاحتكاك بأهل الباطل وعدم الإذعان للحق، كل هذا مع الوقت يحدث شيء في القلب لا يلتفت إليه الناس وهو أن القلوب تُضرب.

والنصيحة:

علينا أن نتجنب الأماكن التي يقع فيها الفساد وعدم الذهاب إليها إلا اضطرارًا.

مثال: الأسواق وما يحدث فيها من تجاوزات فهذا يسب وهذا يلعن وهذا يحلف أيمان باطلة ليبيع ما عنده من سلع (وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ) فمكانٍ كهذا لا يجب أن يضع المرء نفسه فيه إلا في حال الاضطرار

_مثال: مجالس تملأها الغيبة والنميمة وتقطيع في لحوم المسلمين فلا ينبغي التواجد فيها وإذا أُجْبِر الشخص على ذلك فعليه أن يجلس معهم جلسة المُتحفز حتى لا يقع فيما يقعون فيه إلى جانب محاولته إيقاف ما يحدث من أمور تُغضب الله سبحانه لماذا؟

لأن جلسة المرء في مجالس تملأها المعاصي ورؤية أهل المعاصي وهم يعصون الله عز وجل وهو ساكت معتقدًا أنه بذلك يكون في أمان، لا.

ليس في أمان لأن القلب يُضرب تدريجيًا، وهذه هي الشكوى التي تأتي دائمًا من طلاب العلم حيث أن البعض منهم يشعرون بفتور فإذا ما وقف الواحد منهم ليُصلي فلا يدري ماذا يقول، والقلب مُغلق، والحال سيء ولم يبقى إلا المظهر الخارجي، لابد أن يسأل الشخص نفسه ما الذي أَوْصَلَكِ إلى تلك الحال؟ وقد كان المفترض أنه طالب علم يعني على خير كثير نظرًا لأنه مقبل على دروس العلم ويريد أن يسمع عن ربه فما الذي أضاع كل هذا الخير؟ إنه الجلوس وسط أهل المعاصي، فمعصية بعد معصية أدى إلى استهانة الناس بارتكاب المعاصي والذنوب.

في حين أن المعصية مسألة خطيرة لأن الله سبحانه وتعالى قد لا يأخذ العبد بالذنب في بداية الأمر وهذا من مكر الله به.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (30)﴾[الأنفال]

قال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (44) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (45)﴾[القلم]

يقول ابن كثير المقصود: (كلما أحدث هذا العبد معصية أحدث الله له نعمة).

فكيف يكون ذلك؟ هل يمكن أن تُقابل المعصية بالنعمة ؟ هذا من أشد أنواع غضب الملك، أي أن يكون العبد مقيم على المعصية ولا يُعاقب بل تأتيه النعم.

أملي لهم: أي أمهالهم وإعطائهم الوقت.

فإذا ما صاحب معصية العبد عطاء الله ونعمه عليه اعتقد هذا العبد أنه على خير وهذا تصور خاطئ، كما أن مَن يتصور أن السائرين على الطريق إلى الله سيتقلبون في النعم وسيعيشون في جنة على الأرض فهو مُخطئ،

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: "الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ، فَالْأَمْثَلُ، حَتَّى يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ، ذَاكَ فَإِنْ كَانَ صُلْبَ الدِّينِ ابْتُلِيَ عَلَى قَدْرِ ذَاكَ – وَقَالَ مَرَّةً: أَشَدُّ بَلاءً – وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى قَدْرِ ذَاكَ – وَقَالَ مَرَّةً: عَلَى حَسَبِ دِينِهِ – قَالَ: فَمَا تَبْرَحُ الْبَلايَا عَنِ الْعَبْدِ، حَتَّى يَمْشِيَ فِي الْأَرْضِ – يَعْنِي – وَمَا إِنْ عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ " **مسند أحمد(1555)،سنن ابن ماجة(4023)،سنن الترمذي(2398)**

فكلما كان للمرء مكانًا وباعًا في دين الله عز وجل كلما كان الابتلاء من الله لعبده أشد، فيُبتلى المرء على قدر دينه فكلما كان لدى العبد قوة في دينه كلما ابتلي على هذا القدر حتى يُربيه ربه ويُرَقّيه ويُعلِيه في مدارج الكمال وحتى يجد نفسه مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفردوس الأعلى، هذه هي حقيقة ما يحدث لأهل الدين ولا يعيها إلا مَن كانوا يفقهون.

الحاصل لأهل المعاصي أنهم في فتنة، وحتى لا يغتر أهل الدين بهؤلاء لأنه أحيانًا نجد أن طالب العلم والسائر على طريق الهدى عندما يحضر المجالس ويسمع الخير ثم يجد نفسه وقد ضاقت به الدنيا يمكن أن يُفكر لماذا وأنا قائم بطاعة الله وملتزم بما شرعه الله أجد كل هذه الابتلاءات تنزل علي هكذا في حين أن أهل المعاصي يتقلبون في النعم؟

هنا يحدث للبعض من أهل الدين طلاب العلم (مثلًا) شيء من الاضطراب والاختلاج في القلوب مع احتمال الوصول إلى مرحلة الشك لمَن ليس لديه علم،
أنت أيها الطائع لأنك طائع تنزل عليك المصائب أتدرون لماذا؟
لأن مكان أهل الدين ليس هنا بل أن مكانهم هناك في الآخرة حيث جنة عرضها السماوات والأرض، لم يُرد الله عز وجل لهم أن يسعدوا أو يُنعموا في الدنيا، هذه الدنيا لا تُمثِل بالنسبة لأهل الدين إلا مرحلة طالت مدتها أو قصُرت فسيقطعها الإنسان ثم يلي ذلك جنات عدن التي تتزين للطائعين الراغبين فيها والساعين لها سعيها، أما العاصي والفاسق والظالم والقاتل فليس له في الآخرة من خلاق، وبالتالي فلا يجب أن يحزن الطائع على

نفسه لأن في ابتلائه إرادة الله عز وجل له مكانة في الجنة ما كان ليبلغها بعمله

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا يَزَالُ البَلاَءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ"

سنن الترمذي(2399)،صحيح ابن حبان(2924)، المستدرك على الصحيحين للحاكم(7879).

لابد أن يُصاب الإنسان في ماله أو ولده أو صحته فلماذا يحدث هذا؟

حتى يلقى الله وما عليه خطيئة : فتُمحى كل الذنوب والخطايا ويغفرها الله عز وجل بهذه الابتلاءات اليسيرة البسيطة جدًا إذا ما قُورنت بليلة واحدة في القبر ومع ظُلمة القبر وعذابه، فكل عذابات الدنيا وابتلاءاتها ومصائبها لا تساوي عذاب ليلة واحدة في القبر أو المُكث في النار ساعة.

علينا أن نفهم هذه المعاني حتى نستطيع أن نسير إلى الله على بصيرة

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)﴾[يوسف]

البصيرة تجعل السير إلى الله يكون بطمأنينة نفس وانشراح صدر وهدوء في العقل ورزانة في الفكر، وحياة مع الله ليس فيها تعب أو مُنغصات وإذا ما نزل الابتلاء يتلقاه العبد ويفهم رسالة ربه إليه فقد يكون رفعًا لدرجته في الجنة والارتقاء فيها.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»**أخرجه البخاري (2892)**

الشاهد: أن المؤمن يعيش في الدنيا ومهما طال عمره فكم سيعيش ؟ لا يساوي شيء.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (77)﴾[النساء]

بالفعل في الدنيا متاع ولكنه قليل فلا قيمة ولا وزن له إذا ما قُورِن بما ينتظر الطائع من نعيم مقيم ولذلك قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "فطوبى للغرباء".

يقول جلَّ ذِكره : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (29)﴾[الرعد]

حسن مآب: حسن مرجع، منزلة ودرجة عالية ومرجع حسن أعده الله سبحانه وتعالى لعباده الصالحين.

فمعاناة العبد في دنياه وتمسكه بدينه وجهاده نفسه من أجل الله سيكون أجره عظيم وعالٍ جدًا ويكفيه أن يكون مع السابقين الأولين المهاجرين والأنصار وأن تكون منزلته بعد الأنبياء وأن يكون مسكنه هو جنة الرحمن وفوق كل هذا يكفيه أن يرى وجه الله الكريم سبحانه وتعالى،

تلك مِنَنْ ونِعم تعلو بعضها فوق بعض ولكن المشكلة أن الدنيا والشهوات وقِلة الاحتكاك بالصالحين جعلت اليقين في أمر الآخرة ضعيف نوعًا ما عند الكثير من الناس.

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (64)﴾[الأنفال]

أي: يكفيك يا رسول الله أنت ومَن معك من المؤمنين أن الله كافيك، فالإنسان إذا كان مع الله فماذا ينقصه أو يشغله ومن أي شيء سيُعاني (صحة_ مال_أولاد) كل هذه الأشياء مع حُسن التوكل على الله يسهُل أمرها، فالمرض يأتيه من عند الله وهو راضٍ، والفقر جاءه بقدر الله وهو راضٍ، وأخذ الأولاد فله ما أعطى وله ما أخذ وهو راضٍ، المؤمن إذا ما كان مع الله فلا إشكالية لديه مُطلقًا.

فيا رسول الله لا تحزن من كم الاهانات والأذى الذي لاقيته من أهلك فالله كافيك هذا الهم ودافع عنك هذا الأذى وسينصرك وسيُعِزك وقد كان،

إذن المتبع للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكفيه أن ناصره والمكرم والمُعِز له والمُدافع عنه والمُيسر لأمره في الدنيا والآخرة هو رب العالمين وليس أحدٍ سواه فأي ابتلاء يُساوي هذه النعم ؟ وأي مصائب تساوي هذا الفضل؟ وأي الكوارث تُعادل هذه المنَّة العظيمة ؟ وهي أن يكون الله سبحانه وتعالى هو ولي العبد وكافيه وناصره والمُدافع عنه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (38)﴾[الحج]

عندما يُدرك الإنسان كل هذه النعم وتلك المعاني فإنه حين تنزل عليه المصائب يُقابلها وهو في حالة من الطمأنينة والسكينة لأن مَن يُدافع عنه هو رب العالمين.

فإذا كان هناك شخص له قريب أو جار من ذوي النفوذ أو المناصب وتحدث له مشكلة فإنه يكون في حالة من الطمأنينة نظرًا لاعتماده عليه في حلها فما هو الحال إذا كان المُدافع عن العبد هو ملك الملوك شرط أن يكون من المؤمنين، ومتى كان من المؤمنين فإن الأمة لو اجتمعت على أن يضروه بشيء فلن يصلوا إلى ذلك.

المؤمن الحق الذي يعيش زمن الغربة ويُدرك هذه الأقوال عن الله ورسوله يطمئن قلبه.

قال جلَّ ذِكره : ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (196)﴾[الأعراف]

الولي : هو الذي يتولى أمر الإنسان وشأنه وكل ما يتعلق به من أمور المُدافع عن العبد المؤمن هو الله الذي نزل الكتاب وهو كافيه إذا كان متبع للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما أنه سبحانه يتولى الصالحين فماذا يبقى بعد كل هذا؟

ومهما نرى من أحوال أهل الدنيا (سعة رزق_أولاد_متع بكل أشكالها) فلا ينبغي أن يهتز القلب عند رؤية أحوال هؤلاء ومناظرهم الشيطانية والتي زينها الشيطان لأهله وحزبه ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (19)﴾[المجادلة]

حزب الشيطان الذين تعجلوا وأرادوا أن يكون نصيبهم من العاجل فتركوا الآجل ففازوا بالشهوة ولكن بقيت الشقوة، ثم تذهب كل هذه الشهوات التي كانوا يتهافتون عليها، فالأموال والجمال والمنصب والجاه كلها أمور تذهب وحين يدخل المرء قبره يكون وحيدًا ولا يبقى معه إلا ما قدمت يداه ويبقى

الحساب في يوم مقداره خمسين ألف سنة، فماذا سيقول لرب العالمين ؟ لماذا لم تلتزم بأوامر الله؟

ولن يستطيع أي واحدٍ منَّا أن يدَّعي عدم العلم فلقد باتت الوسائل التي يتوفر بها الوصول للمعلومة متاحة للجميع (الفضائيات_وسائل التواصل الاجتماعي_الكتب)،

ومع توافر هذه الوسائل للمعرفة فبأي شيء سيعتذر العصاة لربهم سبحانه وتعالى؟ فما هو المانع الذي منعهم عن الامتثال للأمر والاجتناب للنهي والوقوف عند حدود الله ؟ لا عذر لأحد.

ولذلك فإن كل مَن تمسَّك بالعروة الوثقى واعتصم بحبل الله فإنه سينجو في الدنيا والآخرة

في الدنيا: والنجاة في الدنيا محلها القلب وليس الظاهر(فالسعادة محلها القلب وليس الظاهر) وأكبر دليل على ذلك أن أصحاب الأموال والجمال والذين يعيشون في رغدٍ من العيش والحضارة (أوروبا_أمريكا) هؤلاء كفار وليس لديهم أي مشاكل مما نعاني منه نحن من مشكلات(النظافة_ الزواج_المال_التقدم) وبالرغم من ذلك فإن أكبر نسبة انتحار موجودة في هذه الدول حتى أنه قيل أن كل عائلة في أمريكا لها طبيب نفسي،

فمع الجمال والحضارة والتقدم والمال والنظافة والرُقي الذي يتنعم به هؤلاء إلا أن أعلى نسبة انتحار توجد بين هؤلاء **فلماذا؟**

لأن الإنسان مخلوق من روح وجسد، فالكافر والعاصي والغافل غفلوا عن مسألة سعادة الروح وركنوا إلى مسألة سعادة الجسد، لقد تصوروا أن إسعاد الجسد فيه إسعاد للروح، هذا تصور خاطئ وفهم غير صحيح لأن الجسد له أسباب للسعادة تختلف عن أسباب سعادة الروح.

فسعادة الجسد تكون في (طعام_شراب_راحة_إعطائه كفايته من السبل التي تُهيئه للحياة).

في حين أن سعادة الروح لا يمكن تأتي إلا إذا قامت بما خُلقت له، فإذا أتي المرء بالأمر الذي خُلق من أجله فإن الروح سوف تسعد وإن لم يأتِ بهذا الأمر فلن تسعد الروح أبدًا وحتى لو أوتي من سُبل النعيم ما لم يكن لدى أحد غيره،

المؤمن بالله لا ينتحر بالرغم من كل المشكلات والمصائب التي يحياها لماذا؟

لأن هناك اتصال بينه وبين خالقه ولأنه حين يسجد ويضع وجهه على الأرض ليسبح ربه ويقول سبحان ربي الأعلى فإن الله سبحانه يُنزل عليه سعادة وإن كان لا يراها إلا أن مَن معه المليارات لا يستطيع أن يتحصَّل عليها.

بالفعل: هناك بعض المنغصات التي تقابل المسلم ولكن المعاناة أو العذاب الذي يلقاه عذاب يصيب الجسد لا الروح، فالروح لا تعذب بل أنها في سعادة وطمأنينة وراحة.

وما يُقابل المسلمين لا يُقال عنه أنه مشكلات ولكن يُقال أنها مشقة، مشقة نتيجة ضيق الرزق، مشقة من ابن عاق، من زوج أو زوجة لا يتعامل أو لا تتعامل بما يُرضي الله،

أتدرون لماذا يُقال أن المسلم ليس لديه مشكلة؟ لأن الدنيا ليست مكانه ولذلك فهي لا تعنيه.

مثال ذلك: عندما يُسافر شخص إلى بلد آخر لإنجاز عمل أو مهمة ما ويريد أن يستأجر مكان ليسكنه مؤقتًا إلى أن يرجع إلى مكانه الأصلي

فهل لو رأى أن هذا المكان المستأجر يحتاج إلى إصلاحات(كهرباء _نجارة_ سباكة) سيكون لديه مشكلة ويبحث عن مَن يُصلح له هذه الأشياء أم أنه سيمكث فيه على حاله وكما هو إلى أن تنتهي مدته فيه ثم يرجع إلى مكانه الأصلي؟ لا. ليست لديه مشكلة ولكنها مشقة لأنه قد يريد استخدام هذه الأشياء ولا يعرف، وهذا هو الفرق بينهما (وكذلك هو حال أهل الدنيا) فهناك منغصات وتعب ولكنها لن تدوم فهي مرهونة بوقت بقاء العبد في الدنيا فإذا رحل عنها زالت هذه المنغصات وهذا التعب، ومهما كانت لديه من هموم ومنغصات فيكفيه أنه عندما يأتيه الموت وهو يقول لا إله إلا الله فإن مآله سيكون الجنة، أما أهل الدنيا فهم مَن يُعانون من المشاكل (صاحب المليارات_ملكة الجمال التي تكشف من جسدها أكثر مما تستُر_ مطموس العقل والبصيرة).

علينا أن نعلم أن الدنيا دار ابتلاء وبالتالي فلابد أن يُصيب الناس بعض الشرور فتلك سُنن كونية، فمن سنن الله عز وجل في عباده وفي الدنيا أن يكون في هذه الدنيا الشر كما أن فيها الخير، ولله على عباده من النِعم الكثير والشر الذي يُصيب المسلم إذا ما قُورِن بالنعم والفضل فإنه لا يُساوي شيء

مثال: انتشرت الآن ظاهرة سرقة الأعضاء البشرية وقد وصلت أثمان هذه الأعضاء إلى أرقام فلكية فلقد وصل ثمن الكبد وحده إلى(مليون دولار) وكذا باقي الأعضاء فكم مليار يحملها الإنسان وهو لا يلتفت إليها؟ كل هذه نِعَم.

فإن كان هناك شر وابتلاء وهم وغم وشقاء إلا أن هناك على الطرف الآخر نعم لا تُحصى لقوله تعالى: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34)﴾[إبراهيم]

من المُحال أن يحصي العباد نعم الله عليهم، وبالرغم من المصائب والابتلاءات التي تُصيب العباد إلا أنهم مُتمسكين بالدنيا وبالتالي فعلينا أن نتخيل لو لم يكن في الدنيا هذه الابتلاءات التي تنزل على المسلم لأصبح حاله مثل حال الكافر.

إذن فمن نعم الله سبحانه على العباد أن يبتليهم لماذا؟ حتى لا يتمسكون بالدنيا ولا يتشبثون بها، فالإنسان إذا وجد الراحة في مكان فإنه يظل فيه ولا يريد أن يُفارقه، فمنغصات الدنيا تنصب على المؤمن حتى لا يتمسك بها ويستميت من أجل المُكْثَ فيها بل يكون همه هو الآخرة وما يَعُدْ لها من أعمال،

وليس معنى هذا أن يمتنع الإنسان عن الأخذ بأسباب الحياة في الدنيا ولكن المقصود هو عدم تعلق القلب بهذه الأشياء لماذا ؟ لأنه غريب في هذه الدنيا.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»

أخرجه البخاري(6416)

لو أن شخصًا سافر إلى بلدٍ لا يعرف فيه أحد ولا يعرفه فيه أحد وسار في أحد شوارع هذا البلد تُرى كيف سيكون حاله وهو بمفرده هكذا؟ سيمشي وهو

في حالة من الخوف والترقُّب والتربص والشك في كل مَن يقترب منه فهو لا يدري ماذا يُريد منه، كل هذا يحدث منه لأنه غريب وليس في بلده وكذا عندما يرجع إلى البيت الذي قام بتأجيره في هذا البلد فإنه يكون خائفًا من أي شيء يحدث ولهذا فإنه يعيش في حالة من عدم السكون والطمأنينة فهو غريب والأصعب من ذلك هو عابر السبيل،

وهذا هو أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعلى المسلم أن يكون في الدنيا كالغرباء أو عابري السبيل والأخير حاله أصعب لأنه يمُر مُجرد مرور على الطريق

عندما جاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدين الحق ودعا الناس إليه فأذعن الصحابة رضي الله عنهم لأوامره ودخلوا في دين الله أفواجًا، وحين زاد اضطهاد قريش لهم هاجر فريقٌ منهم إلى الحبشة فاستقبلهم النجاشي وسمع منهم ورَحَّب بهم في بلاده وأسلم بعدما حدَّثوه عن الدين الجديد فأكرمهم وأعزهم فلما رجعوا إلى المدينة وعلموا بهجرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة فقاموا بالهجرة إلى المدينة حتى يكونوا بجوار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستقبل أهل المدينة أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استقبالًا حافلًا وكانوا في غاية السعادة لأن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان بينهم فأكرمهم الله عز وجل في الدنيا والآخرة ورُفِع شأنهم وذِكرهم وترضى عنهم ربهم في أكثر من موضع في القرآن.

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (100)﴾[التوبة]

فلقد اجتمع على الصحابة الشقاء والتعب والآلام وابتلاءات الدنيا وهذا كله شر إلا أن النعمة كانت عظيمة، يكفيهم أن ملك الملوك ترضى عنهم في قرآن يُتلى إلى يوم القيامة وكلما قرأ المسلم الآيات فإنه يقول رضي الله عنهم فأي فضلٍ هذا وأي عطاء ومنَّة وكرم يُعادل هذا العطاء ؟ لا شيء.

والسؤال: كم كانت مدة ما لاقاه الصحابة من تعب وعناء وشقاء وأذى واضطهاد وسلب أموالهم وهجرهم لديارهم؟ لقد كانت مدة الرسالة ثلاثة وعشرون عامًا فهل عناء مدة كهذه يُساوي ما ناله الصحابة من فضل وخير، وكذا هو حال المسلم الطائع عندما يجد نفسه في الجنة فكم كانت مدة تعبه وشقائه في الدنيا مقارنةً بما ينتظره من النعيم المقيم في الجنة؟ الجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين حيث السعادة الأبدية السرمدية التي لا تنتهي ولا تنفك عن المقيمين فيها.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا " فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: 43]. **أخرجه مسلم(2837)**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ

الأَنْجُوجُ، عُودُ الطِّيبِ وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ» **أخرجه البخاري(3327)**

عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُونَ، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ كَذَا، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ» **أخرجه البخاري(4879) واللفظ له، أخرجه مسلم(2838).**

تطأ أقدامهم المسك فكم دفعوا في مقابل كل هذا النعيم ؟

إذن الأمر يستحق أن يعيش المرء غريبًا ومع الغرباء حتى يُبعث مع الغرباء ويُحشر معهم لأن تلك هي وصية رسول الله لأمته.

لقد أوصانا أن نعيش كالغرباء أو عابري السبيل وبالتالي فالواجب أن لا تنفك عنَّا هذه الغربة حتى ننجو ونفوز بكل هذا الخير.

الحرب على الدين شديدة ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

أعداء الدين أرادوا هدم هذا الدين عن طريق إضلال أتباعه فسلطوا عليهم الشهوات من ناحية (كليبات_عري_أفلام وفسق وانحراف)لإفساد الشباب والفتيات، والشبهات من ناحية أخرى (مَن قال أن هناك عذاب في القبر _البخاري هو رجل ونحن رجال_أبو هريرة كذا وكذا) للتشكيك في الدين، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ومهما فعلوا فإننا نرى أن الإسلام ينتشر كل يوم ويدخل فيه أتباع جُدد.

الشاهد: أن الحرب على أتباع هذا الدين شديدة وشرسة من أُناس لا يخافون الله وليس الأمر متوقف على محاربة اليهود والنصارى للمسلمين بل أن المسلمين(كالمذيعين والمذيعات الذين ينتقدون الدين وبشراسة أكثر من

اليهود والنصارى أنفسهم) الذين يُحاربون المسلمين هم أشد وأصعب من اليهود والنصارى فهؤلاء تلبسوا بالنفاق الذي وصل إلى النخاع حتى أن البعض منهم يُشعر السامعين له أن قد انخلع من دينه بالكلية

_وعلينا أن لا ننزعج ولا نخاف عندما نرى مثل هذه النوعية من المنافقين لأن الحق وأهله قِلَّة في كل زمان ومكان وتلك سُنة لا تتغير، فمهما زاد الشقاق والشقاء والعناء والتعب والعذاب فلا ينبغي أبدًا أن نتعب.

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146)﴾[آل عمران]

ومهما حدث للمسلم من ابتلاءات ومصاعب في سبيل الله فلا يجب أن يشعر بالضعف ولا الوهن ولا الاستكانة (الذل).

وقال سبحانه أيضًا: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139)﴾[آل عمران]

فالمؤمن عزيز بإسلامه وإيمانه ودينه ولا ينبغي له أن يهِن أو يحزن إذا ما سمع ما يُقال من تشويه للدين وحرب ضد الإسلام لأن الله سبحانه ناصر دينه وسينتشر هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل فهذا وعد الله وموعوده

عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ» وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ، يَقُولُ: «قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي،

لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ» **مسند احمد(16957)**

فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ». **أخرجه مسلم(49)**.

مَن لم يُنكر المنكر بقلبه فليس لديه مثقال ذرة من إيمان وهذا يجعلنا ننتبه حتى لا نعتاد سماع الباطل أو رؤيته ولا نُنْكره.

فأحيانًا من كثرة سماع الباطل لم يعُد البعض يُنكر المنكرات،

فمَن يسِر في الطريق ويرى منكرًا فإن استطاع أن يتكلم فعليه أن يُنكر بلسانه فإن لم يستطع فليُنكر بقلبه لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال وذلك أضعف الإيمان أي : ليس هناك بعد ذلك إيمان فالقلب خاويًا من الإيمان فاحذروا.

علينا أن نُمرّن قلوبنا على إنكار المنكر لأن كثرة رؤية أهل المعاصي وتلبسهم بتلك المعاصي يمكن أن يعتاد الشخص هذه المشاهد وبعد ذلك لا يُنكر هذه المنكرات.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (116)﴾[هود]

المعنى: أن كل الأقوام السابقة كانوا في فساد وضلال وتبقى بقية قليلة من أهل الكتاب كانوا على التوحيد وينهون عن الفساد في الأرض.

على كل عبد أن ينهى عن الفساد الذي يراه ولكن كلٌ بحسب حاله، فالزوجة التي تعلم قدر الراتب الذي يأخذه زوجها عندما يأتيها بأكثر منه فعليها أن تسأله من أين أتيت بالزيادة فإذا ما أجابها أنه من الرشوة أو الحرام أيًا كان مصدره فعليها أن تنصحه وتُعينه على نفسه وتقول له اتقِ الله فيَّ وفي أبناءك فنحن نتحمل الجوع ولا نتحمل نار جهنم وأنت تُدخل علينا نار وتُربي أبناءنا من حرام.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: تُلِيَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: 168] فَقَامَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنَ السُّحْتِ وَالرِّبَا فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ» **المعجم الأوسط(6495)**.

قلما نجد اليوم شخص يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولهذا فقد انتشرت العلمانية وكذا الحرام بشكل غير عادي.

عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَنَحْنُ عِنْدَهُ: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَاسٌ صَالِحُونَ قَلِيلٌ فِي نَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ»، وَكُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا آخَرَ حِينَ طَلَعَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ [ص:268]: «سَيَأْتِي نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نُورُهُمْ كَضَوْءِ الشَّمْسِ» ، قُلْنَا: وَمَنْ أُولَئِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ

الَّذِينَ يُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، يَمُوتُ أَحَدُهُمْ، وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، يُحْشَرُونَ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ» **الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد(775)**

عندما سُئل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الغرباء قال : أنهم ناس قليلون في ناس سوء كثيرين ومَن يعصاهم أكثر من الطائع لهم

وهذا هو الملاحظ بالفعل، فحين نتكلم عن الحرام والحلال فكم الناس الذين يُخالفون ويعصون أكثر من المتقبلين الطائعين ولن يتوقف الأمر عند المخالفة والمعصية بل أنهم ينتقدون ويسبون ويتهمون الداعي أو المتحدث عن الحرام والحلال بالتشدد.

_إذن هذه علامة خير لهذه القلة لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي قال (نَاسٌ صَالِحُونَ قَلِيلٌ فِي نَاسِ سُوءٍ كَثِير).

يقول ابن رجب الغرباء قسمان:

أحدهما: من يصلح نفسه عند فساد الناس،

والثاني: من يصلح ما أفسد الناس من السنة، وهو أعلى القسمين وأفضلها **(مجموع رسائل ابن رجب)**.

والمقصود هو: أن هناك نوعان من الناس يختلفون في تعاملهم مع الغربة

الأول: يغلق بابه على نفسه ويكتفي بإصلاحها ولا يعنيه أمر مَن حوله وهذا هو الأدنى منزلةً.

الثاني: الأخر يعمل على إصلاح نفسه ويعمل على إصلاح غيره وهذا هو الأعلى منزلة لأنه لم يقل نفسي نفسي.

يقول ابن القيم: فأهل الإسلام بين أكثر الناس غرباء، وأهل الإيمان بين أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة الذين تميزوا بها عن الأهواء والبدع فيهم غرباء، والداعون إليها الصابرون على

الأذى فيها أشد غربة، ولكن هؤلاء المخالفين لهم هم أهل الله حقا، فلا غربة عليهم، وإنما غربتهم بين الأكثرين، قال الله تعالى فيهم: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فأولئك هم الغرباء إلى الله ورسوله، وغربتهم هي الرغبة الموحشة، وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم،

عدد المسلمون على سطح الأرض هو(مليار وسبعمائة) أما عدد البشر جميعًا فهو(حوالي سبعة مليارات وقليل) فهل يكونوا بذلك غرباء أم لا ؟ بالفعل هم غرباء(خُمس سكان العالم) وعلينا أن ننتبه لجزئية أخرى وهي أن حوالي نصف هؤلاء لا يُصلون وهذا على أحسن تقدير(أو التقدير المتفائل) _وعندما يرى باقي البشر من غير المسلمين (الغرب) مشهد كصلاة المسلمين حول الكعبة في صلاة التراويح في رمضان (مثلًا) فإن البعض من هؤلاء يكادوا يُصابون بالجنون من هذا المشهد لدرجة أن أحد هؤلاء أسلم عند رؤيته لهذا المشهد.

هذا الشخص رأى هذا المنظر على إحدى الفضائيات ولكنه في حقيقة الأمر لا يعي ما يقال وكل ما يفهمه أن هناك شخص يقول الله اكبر فإذا بمن خلفه(أعداد كبيرة جدًا) يتبعونه فيركعون ويسجدون ويقومون بركوعه وسجوده وقيامه، فبدأ يسأل ويبحث عن ما يحدث فتوصل إلى الحق فاعتنق الدين.

إذن: فبالرغم من أنهم قِلة إلا أن هذه القلة لها تأثير قوي وشديد وليسوا غثاءً كما يعتقد البعض، ولذلك فإن أعداء الدين من الكفار(أمريكا _أوروبا_اليهود _النصارى) يستميتون في التخطيط لمحاربة هذا الدين والقضاء عليه فهذا هو شُغلهم الشاغل بالرغم من أن أتباع هذا الدين قلة

الإسلام هو الدين الوحيد الذي حُورب كل هذه المدة إلا أنه لم يمت ولم يقِل أو يندثر أصحابه.

(في كتب التاريخ) حين أراد التتار أن يقضوا على الإسلام قاموا بإحراق مكتبة بغداد وألقيت الكتب في نهر الفرات لدرجة أنه مُلئ بالكتب إلا أن أمر الدين لم ينتهِ.

كم حورب الإسلام والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين منذ بدأ البعثة إلى يومنا هذا؟ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولقد وصلت الفتوحات الإسلامية إلى مشارق الأرض ومغاربها،

فمع قلة عدد المسلمين إلا أن لهم تأثير شديد شرط أن يكون المسلم مسلم حقيقي كما يُحب الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فالإسلام دين قوي عظيم ولكنه يحتاج إلى رجال(دُعاة)

وأهل الإيمان بين أهل الإسلام غرباء: فلو أننا بحثنا عن المؤمن الحق وهو الماسك على دينه أي الذي يُصلي ويصوم ويحفظ حدود الله ويسير على الحق فسنجد أنهم قلة بالنسبة للمسلمين، فالكثير(يكاد يكون نصف المسلمين)لا يصلون ويُصرِّحون بذلك بمنتهى السهولة وكأنه أمر اختياري يمكن أن يقوم أو لا يقوم به

وأهل العلم في المؤمنين غرباء: وهؤلاء أيضًا قلة بالنسبة للمؤمنين، لأن المؤمن يُصلي ويصوم ويسير على الحق ويمسك على دينه ولكنه إذا نُوقِشْ في المسائل الفقهية والعلمية والعقدية والمُصطلح فسنجد أن أهل العلم بالنسبة لغيرهم قلة.

وأهل السنة الذين تميزوا بها عن الأهواء والبدع فيهم غرباء، والداعون إليها الصابرون على الأذى فيها أشد غربة،

فأهل السنة الذين يُميزون بين السنة والبدعة والمتمسكين بالسنة الداعين إليها هم الغرباء على الحقيقة، لأن الشخص قد يكون لديه علم ولكنه فاسق ومَن على شاكلة هذا يظهر على الفضائيات ويقول:

أمامكم الدين وعلى الواحد منكم أن يستفتي قلبه، ها هي أقوال العلماء وليختر كل واحد ما يُناسبه!

يقول الخمر هو الذي يكون من العنب والتمر فقط ولو أن الخمر صُنِّع من شيء آخر فلا تُعتبر خمرًا وبالتالي يجوز شُرب –الشمبانيا– وهي مصنوعة من التفاح شرط أن لا يشرب إلى درجة السُكر فالحرام هو السُكْر! فأباح وحلل وأثبت بالأدلة الكاذبة التي استند إليها أن خمر التفاح يجوز شُربها بشرط عدم السكر وفي نهاية الكلام يختمه بقوله ولكن أنا لا أشربها

هؤلاء هم خُطباء الفتنة وأهل النار دُعاة على أبواب جهنم كما قال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عن حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ

الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ» **أخرجه مسلم(1847)،أخرجه البخاري(7084).**

هذا الشخص يدعو الشباب لشرب الخمر صراحةً إذن المسألة مسألة تقوى وليست علمًا فقط، أين الاتباع ومَن تتبع فيما تقوله؟

قال عزَّ وجل: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (116)﴾[الأنعام]

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (103)}[يوسف]

_وقال تبارك وتعالى:{ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (100)﴾[المائدة]

وحتى تسترح القلوب وتطمئن فعلينا أن نعلم أن الكثرة مذمومة في القرآن وبالتالي فإن مَن يجد نفسه وحيدًا أو مع القلة فلا يستوحش وليعلم أنه على الحق وأنه من أهل الغربة الذين تُزين الجنة من أجلهم.

يقول الشاعر:

فليس غريبا من تناءت دياره ولكن من تنأين عنه غريب

المقصود أن: الغريب ليس مَن بعُدَ عن دياره ولكن الغريب هو الذي بعدت الناس عنه وقت الشدة والاحتياج، المؤمن غريب وسط أهل الضلال ولكنه عند الله له اسم وذِكر والله يذكره ويُزكيه ويُثني عليه في الملأ الأعلى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً "**أخرجه البخاري(7405)،أخرجه مسلم(2675)**

أي: عندما يذكر العبد ربه ويستغفره ويسبحه فإن رب العالمين يذكره في الملأ الأعلى وكفى به شرف وكفى به منَّة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ" **أخرجه البخاري(6502)**

فما معنى قوله: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ؟ أي لا يسمع إلا ما يُرضي الله وتلك هي أول علامة تدل على حب الله للعبد(فلا يستطيع أن يسمع الغناء_الغيبة_النميمة_فحش قول_كذب) فتُصم أذنه عن سماع كل أنواع الكلام الباطل.

معنى: وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ: أي لا يرى إلا الخير(فلا ينظر إلى الناس بغرض البحث عن عيوبهم ثم الانتقاد والاستهزاء والسخرية_ولا يسقط بصره على عورات المسلمين) فيغض بصره عن عيوب الآخرين وإذا رأى منها شيء فلا يذكره بل يذكر الخير الذي فيهم فقط.

لأن الرب قال:كنت بصره الذي يبصر به فهو يبصر بنور من الله بتوفيق وسداد من الله فلا يُبصر إلا الخير والجمال وكل جميل في الخلق لماذا؟ لأن الله عز وجل حجب بصر عبده عن أن يرى عيوب الآخرين وعوراتهم لأنه يحبه ولما أحبه منع عنه الزلل والخطأ واللغط وكل ما من شأنه أن يدفع الإنسان في جهنم.

وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا: فلا يضرب ولا يرتشي ولا يبطش ولا يسرق ولا يكتب رسالة محرمة على الهاتف

وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا: فيمشي بتوفيق وسداد من الله وإرشاد من الله، فيمشي ويخطو خطوات مُتجهًا إلى الحق(يمشي لحضور مجلس علم_ يمشي لحفظ القرآن_ليصل رحمه_ليُصلح بين العباد_ليأمر بمعروف وينهى عن منكر) كلها خطوات تُرضي الله سبحانه، فهو ليس متبعًا لخطوات الشيطان بل متبعًا لخطوات الشرع خطوة بعد خطوة بتوفيق من الرب سبحانه، هذا هو الميزان الذي يمكن للعبد أن يرجع إليه ليعرف هل هو ممن يُحبهم الله أم لا، فالعين لا ترى إلا الحق، أذنه لا تسمع إلا الحق، يده لا تمتد إلا إلى الحق، ورجله لا تمشي إلا إلى الحق ومتى تحقق للعبد ذلك فعليه أن يلزم الطريق ويثبت عليه وعليه أن يسأل الله الثبات والتوفيق والرشاد والسداد حتى يلقى ربه على خير وفي حسن خاتمة.

إذن: الغرباء على الحقيقة هم أهل السنة العالمون والمتمسكون والعاملون بها في كل زمان ومكان

أهل الغربة ليسوا في وحشة ولا نكد ولا هم ولا حُزن بل أنهم في أُنس مع الله، ومن علامة حب الله وتوفيقه للعبد وعلامة علو الإيمان أنه لا يستوحش إذا ما كان وحيدًا بل يكون مستأنسًا بالله

فمن الناس مَن إذا جلس في بيته منفردًا يبحث عن شيء يشغله فيُجري مكالمة على الهاتف يُشاهد التلفاز_يذهب للأسواق) هؤلاء لا يستطيعون أن يجلسوا من غير أن يشغلوا أنفسهم بشيء وإذا كان هذا هو الحال فإن هذا هو علامة الخلل في الإيمان فإذا ما اكتمل الإيمان في قلبه فسيستأنس بالله فماذا يعني الأنس بالله؟

هذا يعني: أنه ينتهز فرصة اختلائه بنفسه ويذهب إلى ذِكر ربه أو قراءة القرآن بتدبر أو سماع درس علم ليستفيد منه أو قراءة كتاب علم هذا هو الأنس بالله (قراءة كلام الله_السماع عن الله_ القراءة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

إذن هو لا يحتاج إلى الكلام في لغط وأباطيل وتُرهات وقيل وقال، فالقلب مُلئ بحب الله والرغبة في الدار الآخرة والتمسك بالسنة.

الفرق بين المستأنس بالله والمستأنس بغيره واضح ظاهر لا يُنكره أحد، ففرق بين مَن يستأنس بكلمات الرحمن وبين مَن يستأنس ببرامج فاسدة مليئة بالتفاهات والانحطاط الذي يدمر فكر وأخلاقيات الشباب والجميع ويضيع معها الأوقات والأعمار ومنها أوقات الفضل والخير.

والمؤمن الحق هو الذي إذا علا إيمانه استوحش في وجود الناس وتمنى لو أنهم ينفضوا من حوله ولو كانوا أحب الناس إليه إلا أنهم عطلوه عن ذكر ربه والأُنس به، هؤلاء هم أهل الغربة حيث يكون الناس في وادي وهم في وادٍ آخر.

والغربة تشمل كل شيء فيكون المؤمن غريب في عبادته غريب في تعاملاته، غريب في رمضان (وقت الخير والفضل) فيتعامل الغرباء مع هذا الشهر الكريم بصورة مختلفة عن التي يتعامل بها العوام معه،

_فالعوام يتعاملون مع هذا الشهر كالأتي(تجهيز الطعام في النهار_زيارات وعزومات _وفي الليل الذهاب إلى الخيم الرمضانية).

أما الغرباء فهم في حالة من التوجه الدائم إلى الله ليستأنسوا به ولينالوا من الخير والفضل الذي خص الله سبحانه به هذا الشهر عن غيره من باقي الشهور ومهما وُجِه إليهم من انتقادات واتهامات فلا يُبالون لذلك، فهم ليسوا أفضل من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لاقى ما لاقاه من أذى

واضطهاد وإهانة والسب (كل أنواع الأذى) وبالرغم من ذلك فقد ثبت على الحق إلى أن بلغ رسالة ربه سبحانه إلى خلق الله،

علينا أن نتحمل كل ما نلقاه في سبيل الله.

أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجَنَّةُ"

سنن الترمذي(2450)

الأمر يستحق أن نتحمل من أجله كل شيء وأي شيء (السخرية _ الاستهزاء_بُعد الناس_الانتقاد_الإهانة) لقد أعد الله عز وجل للغرباء جنة عرضها السماوات والأرض ووعدهم بالخلود فيها، جنة تجري من تحتها الأنهار من (مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ_وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ_وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى).

هذا كله أُعِد لغُرباء الدنيا فتزينت لهم الجنة فهل يمكن أن يوجد شيء يجعلهم يتنازلون عن كل هذا النعيم.

سؤال: إذا كان أهل الدنيا لا يرضون أن يتنازلوا عن دنياهم بكل ما فيها من ضلال وفساد من أجل خاطر شخص فهل من العقل أن يتنازل الغرباء وهم على الحق عن آخرتهم.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37)﴾[عبس]

انتبهوا: عليكم إذا أردتم أن تكونوا من الغرباء أن لا تضعفوا فالغريب هو الأقوى والأحق والأعلى فتمسكوا بدينكم وارضوا ربكم واجعلوا الشهر الغالي يمر عليكم بدون لغوا ولا غيبة ولا نميمة ولا مشاهدة تلفاز ولا ذهاب إلى الأسواق إلا وقت الحاجة وفي حدود، واجعلوا حق الله مقدم على كل الحقوق وأوامره مقدمة على كل الأوامر واتباع السنة منهج لا ينبغي مخالفته

يكفينا فخرًا أن نكون متبعين لسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن نكون من الغرباء فلقد بشَّرنا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا قبل الآخرة **(فطوبى للغرباء)**.

أسأل الله أن يجعلنا من الغرباء وأن يجعلنا من عباده الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك